قصيدة "يوغرطا''
والوعي السياسي لدى رامبو

أ.عثمان لوصيف
جامعة وهران-الجزائر

ملخص:

تحاول هذه الدراسة ان تسلط الضوء على واحد من أشهر الشعراء العالميين الكبار الذين تركوا تأثيرا قويا في الشعر المعاصر سيما قصيدة النثر، إنه العبقري الفرنسي الشاب آرثر رامبو.

لقد اخترنا قصيدة "يوغرطا" لارتباطها الحميم بالوجدان الجزائري موضوعا لدراستنا المؤسسة في المقام الأول على نظرية القراءة والتأويل، وبينا أن رامبو منذ مراهقته المبكرة كان يمتلك وعيا سياسيا عميقا ببعده الإنساني النبيل، لذلك وقف ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر رغم وجود أبيه ضابطا برتبة نقيب في الجيش الاستعماري ببلادنا.

في هذه القصيدة ينزلق رامبو بالعنوان إلى معاصره الأمير عبد القادر، مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، الذي قاد المقاومة الشعبية الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي، مشبها إياه بالبطل النوميدي الشهير يوغرطا الذي قاوم بدوره الاحتلال الروماني للجزائر، هكذا يعيد التاريخ نفسه.

قمنا في البداية بعرض سريع لبعض القصائد السياسية، للشاعر، ثم حاولنا مقاربة قصيدة "يوغرطا"؛ فهي نص شعري بالغ الروعة كتب باللاتينية في الأصل ويتألف من ثلاثة وثمانين بيتا مع لازمة أساسية تتكرر خمس

مرات، بالإضافة إلى اعتماد العناصر المسرحية كالمشاهد والشخصيات والحوار وغير ذلك.

Abstract:

Our study attempts to shed light on one of the most famous universal poets who left a great influence on modern poetry especially the prosaic poem, throughout all the world, it is the young genius frensh poet Arthur Rimbaud.

We have chosen his poem "Jugurtha"as a subject for our analysis which is based on the theory of reading and interpretation. Our study has shown that Rimbaud since his early adolescence possessed a deep consciousness with a human sensation, so he was against the Frensh conquest of Algeria when his father was a captain in the colonial army in our country.

Rimbaud glorifies in this poem the resistance of the greatest leader El' Amir Abdelkader the founder of the modern Algerian state, comparing him with the great Numidian hero Jugurtha who has resisted the Roman conquest, thus history repeats itself.

At first we have exposed a quick conclusion of some political poems of the poet, then we have tried to approach "Jugurtha" poem; it is a very excellent poetic text written in Latin and consists of eighty three verses with an essential refrain which repeats five times, besides that the use of the theatric elements as scenes, personages and dialogue.

الدراسة

ثمّة ثلاثة عوامل أساسية في رأينا رسمت ملامح الوعي السيّاسي لدى رامبو، بل ربّما قادته في بعض الحالات إلى أن يخوض بمفرده، هو الصّغير، حربا شعواء لا هوادة فيها، ونعرف جميعا أنّ الكلمة الحرّة المناضلة قد تكون أمضى من الحسام وأخطر من الرّصاصة أو حتى القنبلة ذاتها. يتمثّل العامل الأوّل في أبيه، فقد فتح الصّبي عينيه على العالم ليجد أباه بعيدا في الجزائر، كان ضابطا برتبة نقيب في الجيش

الفرنسي ثمّ انفصل نهائيا عن العائلة بالطلاق وعمر الشّاعر لا يتعدّى السّت سنوات ولنا إلى ذلك عودة نقف من خلالها على مناهضة رامبو للاستعمار الفرنسي وإشادته بالمقاومة الجزائرية. ويعود العامل الثاني إلى الحرب البروسية الفرنسية التي أعلنها الإمبراطور الأحمق نابليون الثالث، وانتهت بهزيمته واجتياح الجيوش الألمانية لأجزاء كبيرة من التراب الفرنسي بما في ذلك شارلفيل البلدة التي ولد وترعرع فيها الشاعر. أما العامل الثالث والأخطر على الإطلاق فيتعلّق بسقوط ما بات يعرف تاريخيا بـ "كومونة باريس La Commune De Paris" حيث تمّ قمع الثوّار، من طبقة العمّال والفقراء وإبادتهم بطريقة همجية من قبل الجمهوريين الذين خلفوا نابليون الثالث واستعانوا في ذلك بالألمان الغزاة، لذلك فإن «إخفاق الثورة الشعبية للكومونة فيما بعد بقليل بأهدافها التي كان متعاطفا معها بالكامل، كان خيبة أمل ساحقة»[1]، وهكذا تلاشى حلم رامبو الكبير بالتغيير الشّامل كما نلاحظ في كثير من قصائده، وهذه بعض الأمثلة:

بقصيدة "أغنية حرب باريسية"[2] يعارض رامبو الشّاعر فرانسوا كوبيه François Coppée في قصيدته المعروفة "أغنية حرب شركسية Chant de Guerre Circassien"، ومن خلالها يقف إلى جانب ثوّار الكومونة في نضالهم الدّموي المستميت، بهدف تكريس قيم العدالة والحريّة والمساواة، وللقضاء على الظلم والقهر والطغيان وغير ذلك ممّا كان يمارسه النظام الإمبراطوري على صدور الجماهير، سيّما تلك الكادحة والبائسة منها، كما يهاجم الحكومة الجمهورية الجديدة

التّي أعلنت الحرب على الكومونة مدعومة في ذلك بالقوّات البروسية:

بلاط المدينة[3] الكبرى ساخن
رغم منضحاتكم النّفطية،
وبالتّكيد، علينا أن
نرجّكم في أدواركم.
والرّيفيون[4] الّذين يختالون
في إقعاءات طويلة،
سيسمعون الأغصان تتكسّر
بين الاصطدامات الحمـــراء!

وتــصوّر قصيدة "الشرّ"[5] الحــرب الفرنسية البروسية، ويــتضح من خلال هــذا العنوان الاستفزازي البغيض أنّ رامبو كان يدرك جيّدا لعنة الحرب وما تخفيه من دمار وفجائع مريعة عــلى الإنسان والحيوان والطبيعة بعامّة، إنّها شرّ الشّرور على الإطلاق، يشعل نارها المجانين من القـــادة المغرورين ويدفع ثمنها الأبرياء من الأبطال والمساكين، ألم يقل زهير حكيـــم العرب في الجاهلية في معلّقته الشهيرة:

وما الحرب إلاّ ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجّـم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمــة وتضرى إذا ضرّيتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرّحــى بثفالهــا وتلقح كشافا ثمّ تنتج فتتئم [6]

يصوّر رامبو جنود الجيش الفرنسي ببزّاتهم الحمراء من جهة، وجنود الجيش البروسي ببزّاتهم الخضراء من جهة ثانية، وبين الجيشين المتساقطين كأوراق الخريف اليابسة يقف الإمبراطور المزهو بنفسه نابليون الثالث أو غيوم Guillaumeملــك بروسيــا، وهو يوبّخ المتخاذلين مــن الجنود ليزجّ بهم في أتون المعركة من دون إحساس أو شفقة:

بينما تنزّ النّفثات الحمــراء للرشاش
طيلة النّهــار، عبر لانهاية السماء الزّرقــاء؛
قرمزيّة أو خضراء، قرب الملك السّاخر منها،

تتساقط الكتائب كتلة متراصّة في النّـــــار،
بينما يسحق جنون مريع
مائة ألف رجل، جاعلا منهم كومة مدخّنة؛
ــ يا للفقراء الموتى! في الصّيف، في العشب، في ابتهاجك
أيتها الطّبيعة! أنت، يا من جبلت بقداسة هؤلاء الرّجال!...ـ

وفي قصيدة "الحداد"[7] يستلهم الشّاعر الوقائع التاريخية ليسقط الماضي على الرّاهن السياســـي، وهـــي تقنية فنّية كان قد اعتمدها من قبل بمهارة فائقة في قصيدة يوغرطا كما سنرى بعد قليل. يتماهـــى رامبو مع القصّاب لـــوجاندرLegendre بعد أن حوّله إلى حدّاد، لمـــا لهذه الكلمـــة الأخيرة مـــن وقع دلالي وبعد أسطـــوري. كان لوجاندر هـــذا قد استوقف لويس السادس عشر وراح يوبّخـــــــه على ما تعانيه الجماهير من ظلم واستبداد، يقتبس رامبو من رمزية هذه الواقعة ويسقط ذلـــك على معاصره الإمبراطور نابليون الثالث:

أو تظنّ أنّي أحبّ أن أرى بيتك الرّائع،
ضبّاطك المذهبين، أوغادك الألف،
لقطاءك الملعونين وهم يدورون كالطواويس
وقد ملأوا وكرك بعطر بناتنا.
«- إنّها الدّهماء
يا مولاي، ترغي على الجدران، تصعد، تتكاثر:
- بما أنّهم لا يأكلون، مولاي، فهم أنـــــــذال!
أنا حـــدّاد: امرأتي معهم، يا للمخبولة!
تعتقد أنها ستجد خبزا في تويلري[8]
«آه! كلّ التّعســـاء كلّ الذين تحترق ظهورهم
تحت الشّمس المفترسة، الذين يمضون ويمضون،
وهم يشعرون بجباههم تتفزّر في ذلك العمل...

أخفضوا قبعاتكم أيّها البرجوازيون! آه، هؤلاء هم الرّجال!

نحن عمّـــال، يا مولاي، عمّـــال!

نصل الآن إلى قصيدة "يوغرطا"[9]، وهي «قصيدة لاتينية ضد الغزو الفرنســـــي للجزائر، تشبّه القائد الجزائري عبد القادر بالملك النوميدي يوغرطا»[10]، بالإضافة إلى بنيتها الفنيّة الرّائعة تمثل ذروة الوعـــــي السّياسي لدى رامبو، إذ تتجاوز الـــــحدود الوطنيـــــة الضيّقـــة وتمتدّ، ببعدها الإنســـاني النبيل، إلـــى ما هو أبعد وأعمق من ذلك بكثير كما سنرى من خلال هذه المقاربة.

مقاربة قصيدة يوغرطا:

يشكّل العنوان هنا العتبة الأولى للولوج إلى عالم النّص، إذ يحيلنا مباشرة إلى القائـــــد النوميدي الشهير الذي تصدّى للرومان وحاربهم باستماتة نادرة حتى انتهى به الأمر أخيرا إلـــــى الوقوع في الأسر، ثمّ نقل إلى روما ومات في سجونها المظلمة ميتة العظماء الكبار. أمّا الومضـــة المقتبسة عن باسكال والواردة بالتنصيص تحت العنوان المذكور فتمثل العتبة الثانية المتفرّعة عن الأولى والمتمّمة لها، إذ تلعب دورا أساسيا في عملية الكشف عـــن السرّ الذي دفع بالشّاعر إلـــى الجنوح بالعنوان كما بيّناه آنفا إلى البطل الجزائري المعاصر لـــه، ونعني به الأمير عـــبد القادر الذي قارع بدوره الرومـــان الجدد أي جـــيوش الاستعمار الفرنسي، سبعة عشر عاما وضرب مثل سلفه الأوّل أروع الأمثلة في البطولة والاستبسال حتى وقع هو الآخر في أسرهم ونقـــــل إلى باريس ثمّ إلى سوريا حيث وافته المنية بمنفاه.

هكذا يعيد التاريخ نفسه؛ يوغرطا القديم يبعث من جديد في شخصية الأمير عبد القـــــادر الجزائري رمز المقاومة الشّعبية ومؤسس الدولة

الجزائرية الحديثة. بهذه المراوغة الفنّية البارعة يرفع الشّاعر الستار عن لعبة المعنى الموجّه لاستراتيجية هذا الخطاب الملحمي الطافح في الآن ذاته بالعناصر المسرحية البارزة، ممّا يضفي على القصيدة دينامية متنامية رغم كلاسكيتها القريبة من الرّوح الرومنسية.

ومن جهة أخرى يمكننا أن نستشعر منذ البداية النزعة الإنسانية المبكّرة لدى هذا العبقري؛ حيث نراه يعبّر بشجاعة نادرة عن رفضه القوي للاستعمار رغم وجود أبيه ضابطا في الجيش الفرنسي بالجزائر ويعرب عن تعاطفه النّبيل مع الجزائريين الذين سلبت منهم أرضهم ظلما وعدوانا، هذه التيمة المناهضة للاستعمار ستنمو في قصائد رامبو اللاحقة حتى تبلغ أوجها في قصيدة "ديمقراطية"[11] التي قد تكون آخر ما كتب -1886م.

يستهلّ الشاعر قصيدته بلازمة مكثفة رمزيا ودلاليا تتكرّر خمس مرّات مثل تعويذة سحرية يلتفّ من حولها الخطاب الشعري المتدفّق بغزارة فتعصمه من التشعّب والفلتان وهي تنحت مسار تحولاته وترسم أيقونة ملامحه الفنّية بمستوياتها الأسلوبية وأبعادها الإيقاعية والدلالية، حتى يمكننا القول دون تردّد إنّ هذه اللازمة استطاعت أن تعكس لوحدها وبمهارة فائقة هذا الفيض الشّعري الغامر بشموليته الكلية، إنها القصيدة مختزلة في شطرين:

في جبال العرب دوّت صيحة ميلاد طفل كبير؛

فوشوشت الأنسام النَدية:« هذا حفيد يوغرطا!...»

فعندما كان الاستعمار الغاشم يعتبر واهما أنّ الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، وحين راح ينفث سياسة "فرّق تسد" ويعمل جاهدا على طمس معالم الهوية الوطنية محاولا بذلك أن يجتث شعبنا الأبيّ من جذوره الثقافية الرّاسخة وانتمائه العربي الإسلامي كما عبّر عنه الإمام ابن باديس:

شعب الجزائر مسلـــم وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن اصله أو قال مات فقد كذب[12]

حينها وقف رامبو في الطرف الآخر المناهض لفرنسا الاستعمارية ليصرخ عاليا: لا للظلم والطغيان! لا لاستعباد الشعوب! لقد أدرك بذكائه الحاد أنّ هؤلاء الغزاة المعتدين "إنما يرومون المحال من الطلب" هكذا يضع رامبو أصابعه الشعرية البريئة على أسرار الرّوح الخالدة لهويّة الجزائر التي هي خط أحمر، كما يعبّر رجال السياسة، لا يقبل العبث ولا مجال فيه للمساومة والمزايدات. إنّها بعض المعاني التي تنضح بها هــذه اللازمة الرامبويـــة التـــي تتصدّر الخطاب ممّا يغرينا بمقاربة القصيدة كاملة والتملّي من جمالياتها الفنيّة الآسرة. يتألف النّص من ثلاثة مقاطع متراتبة ومرقمة، أطولها المقطع الأوّل، وأقصرها المقطـــع الثالث وهو السطر الأخير من المقطع الثاني؛ اقتطعه الشّاعر من موقعه وجعل منه مقطعا مستقلاّ قائما بذاته ولنا عودة إلى ذلك.

1-يفتتح الشاعر قصيدته بإزاحة الستار عن صورة معراجية للمولود الجديد وقد طار من مهده إلى السّماء السابعة ليتلقى البركة الإلهية ويحظى بشرف الرّسالة التي سيحملها على عاتقـــــه ويكرّس لها حياته "منذ قليل فقط، كان قد عرج إلى السماء/ هذا الذي سيغدو لبلاد العرب يوغرطا العظيم"، وإذ يعود إلى فراشه الأبوي ويغفو قليلا مغمضا عينيه على تلك الرّؤى النبوية يظهر لوالديه خيال جدّه الأوّل يوغرطا ويشرع في سرد ملحمته الدّموية مع الرّومـــان الذين عاثـــوا فسادا في البلد المقدّس، ثمّ يرسل صيحته ويعلن عن نبوءته "وطني! يا ترابا أذود عنه بأفعالي!"، ويسترســـل بإسهاب في وصف روما التي جنّدت المرتزقة من "قطّاع الطرق" وحشدت جيوش الدنيا فدكّت المدن والقلاع واستعبدت الأمم والشعوب "روما بجبروتها

العاتي/ كانت تلوي رقاب الشعوب". ولا يتردد في أن يضفي عليها أبشع صور الهجاء والفضيحة والازدراء "لقد سرى في أعضائهـــا سمّ بغيض:/ الظمأ اللاهب للذهب! وبدت لي بكاملها مدججة بالحديد/ تلك المدينة العاهرة كانـــت تحكم قبضتها على الأرض!". والجدير بالتنويه هنا أن صورة "الظمأ اللاهب للذهب" المسندة لروما ستنمو لدى رامبو وتتكرر في أعماله اللاحقة خصوصا "فصل في الجحيم" بإسنادها إلى فرنســـا الاستعمارية، وفي "الإشراقات" بإسنادها إلى الاستعمار الغربي الحديث على وجه العموم.[13]

ويتأجج الدّم الجزائري الذي لا يقبل الضيّم ملء شرايين القائد يوغرطا فيصرخ بعبارات التحدّي والكبرياء في وجه روما الباغية "استدعتني روما/ فتوجهت إليها! وعلى جبهتها المتكبرة/ دمغت صفعة، ونظرت بازدراء إلى كتائبها المرتزقة". هكذا يجسد يوغرطا البيت الشهير للمتنبي:

وإذا لم يكن من الموت بدّ فمن العجز أن تموت جبانا[14]

لكنّ الخيانة توقع البطل الثّائر في حبائل الأسر بعدما تآمرت روما مع بوكوس الغادر الخؤون، وبذلك ينهي قصّته مع روما. وفي انعطافة مفصلية حاسمة في سيرورة الخطاب نراه يتخطى نامـــوس الزّمن ويلتفت إلـــى فرنســـا الطّاغية وهـــي تزحف بجيوشها المدجّجة بالنّار والحديد لتستولي عـــلى أرض الأحـــرار **"لكن** ها هو عدو جديد لقائد العرب، أقصد فرنسا!..."، ويوجّه الخطاب إلى حفيده عبـــد القادر الجزائري فيتنبـــأ لـــه بالإمارة وإعلاء رايـــة المقاومة في وجه المغتصبين "آه فلتنتفض الأسود العربية للحرب/ وبأنيابها الغاضبة فلتمزّق فلـــول الأعداء!/ وأنت أيها الطّفل الصّغير فلتكبر! وليكن القدر إلى جانبك!/ فبعد اليوم لن ينجّس الفرنسيون شواطئنا العربية!"، ثم يختتم المقطع بهذه العبارة المكثفة بدلالاتها الرمزية وإشاراتها اللماحة "يداعب الطفل سيفه المعقوف وهو يضحك".

2-وفي المقطع الثاني يقف الشاعر بنا على مشهد آخر، لقد كبر الحفيد الصغير وبويع أميرا للجزائر فقاد بدوره كتائب المقاومة وخاض أشرس المعارك ضد الإمبراطورية الجديدة مسطرا بذلك أروع الملاحم في التضحية والنضال المستميت إلى أن وقع أخيرا في الأسر "نابليون! يا نابليون! ها هو ذا يوغرطا الجديد منهزم! في سجنه المقيت يرسف في الأغلال!". ومرّة أخرى يتجلى خيال يوغرطا أمام البطل الأسير ويهمس له بكلمات يسخر من خلالها بالغاصب المحتل، متنبئا بالهزيمة لجيوشه التي حشدها في أرض الأبطال والشهداء، أرض الجزائر العربية المسلمة، وهنا ينهي الشّاعر مقطعه الثاني بعد اقتطاعه السطر الأخير ليجعل منه مقطعا ثالثا يختم به هذه الباكورة الشّعرية الرّائعة، كما أشرنا إلى ذلك آنفا.

3-هذا السّطر-المقطع الثالث والأخير من القصيدة يختزل كثيرا من الأفكار والرؤى والعبارات، وبذلك يغني القارئ، وقد بلغت به النشوة حدّ الذهول، عن طلب المزيد لأنّه يرسو به على ضفاف المعنى الجامع، إنّه بالمختصر المفيد "بيت القصيد" كما يقول العرب، "إنّ عبقرية الشّواطئ العربية هي ما يتجلى الآن لك...".

ترجمة قصيدة "يوغرطا"[15]

JUGURTHA

« إن العناية الإلهية قد تجعل الإنسان ذاته
يظهر من جديد على مدى قرون عديدة»

غيز دو بلزاك

-1-

في جبال العرب، دوّت صيحة ميلاد طفل كبير؛
فوشوشت الأنسام الندية: «هذا حفيد يوغرطا!...»

منذ قليل فقط، كان قــد عرج إلى السّمـــــاء
هذا الذي سيغدو لبــلاد العرب ولأهلـــــــه
يوغرطا العظيم، وها! يتجلّى لوالديه المنذهلين
طيف يوغرطا ذاته، مرفرفا فوق الصبي
يروي لهما سيرته ويصدع بنبوءتـــه:
«وطني! يا ترابا أذود عنه بأفعالي!...»
وسكت الصوت هنيهة، ودارت النسمـــــات...
«كانت روما ملاذا لقطّاع الطرق، ما أكثرهم!
ثمّ خرجت من قلاعها الضيقة وزحفت عبر الأمصار،
يا لها من طاغية! فهزت الأقاليم المجــاورة،
وطوّقت العالم بذراعيها القويتين حتى خضع لها.
كم من أمم استكانت تحت وطأة النير الثقيــل:
أخريات شهرت السلاح وسفكن الدماء سيولا
ليفتدين أوطانهن، لكن عبثا حاولن ذلك:
روما بجبروتها العاتي كانت تلوي رقاب الشعوب
عندما لا تتحالف معها المدائن...»

في جبـــال العــرب دوّت صيحة ميلاد طفل كبير؛
فوشوشت الأنسام الندية: «هذا حفيد يوغرطا...»
«حتى أنا طالما ظننت أن ذلك الشعب نبيـــــل
حين اشتدّ عودي وقـــــدّر لـــــي

أن أبصـــر تلك الأمّـــة من قريـــب رأيت جرحـــا
عميقا في صدرها الهائل! – لقد ســـرى في أعضائها سمّ بغيض:
الظمأ اللاهب للذهب!... وبدت لي بكاملها مدججة بالحديد...-
تلك المدينة العاهرة كانت تحكم قبضتها على الأرض!
وأنا الذي صممت على التحدّي لتلك الملكة، روما!
فألقيت نظرة احتقار إلى شعبها الذي يخنع له كلّ العالم!...»

في جبال العرب دوّت صيحة ميلاد طفل كبير؛
فوشوشت الأنسام الندية :«هذا حفيد يوغرطا!...»

«وعندما أزمعت روما على الاقتراب خلســـة
من مجالس يوغرطا كي تسيطر تدريجيا
بالكيد على وطني، رأيت ببصيرتي النافـــذة
الأغلال تدنو منّا فقررت الحرب على روما:
كم ذقت من الآلام! وكم عصفت بقلبي نوبات الحيرة!
يا شعبي المغوار! يا جنودي! يا جيوشنا المقدّسة!
تلك الأمة، الملكة المتجبّرة، مجد العالم بأسره،
تلك الأمة ستسقط، – سكرى بعطاياي.
آه كم كنا نضحك، نحن النوميديين، من روما تلك!
كان اسم البربري يوغرطا على كلّ لسان:
ولم يعد باستطاعة أحد أن يواجه النوميديين!...

في جبال العرب دوّت صيحة ميلاد طفل كبير؛
فوشوشت الأنسام الندية: «هذا حفيد يوغرطا!...»

أنا – رجل من النوميديين!– استدعتني روما
فتوجهت إليها! وعلى جبهتها المتكبّرة
دمغت صفعة ، ونظرت بازدراء إلى كتائبها المرتزقة.
أخيرا انتفض هذا الشعب ليمتشق سلاحه المهمل.
تمسّكت بالسيف من دون أمل بالانتصار،
ومع ذلك تمكنت على الأقل من منافسة روما!
بأودية بلادي، بحجارتها واجهت جيوش الرومان،
مرّة يحاربون في شواطئ ليبيا وأخرى
يسحبون المقاليع المنصوبة في أعالي التّلال.
كثيرا ما سقوا أرياف بلادنا بدمائهم المراقة؛
وكم كانت دهشتهم إزاء شجاعة أعدائهم غير المتوقعة!...»

في جبـــال العرب دوّت صيحة ميلاد طفل كبيـــــر؛
فوشوشت الأنسام الندية : «هذا حفيد يوغرطا!...»

ربّما أمكنني أن أكسر شوكة سرايا الأعداء...
لولا بوكوس[16] الخائن... لكن ما الجدوى من سرد حكايته؟
فرحا غادرت بلادي والتشريفات الملكية اللائقة،
فخورا بأنني أهديت روما صفعة رجل متمرّد .

لكن ها هو عدو جديد لقائد العرب، أقصد فرنسا!...
فإذا تمكنت يا بني من ترويض القدر الجامـــح
فستثأر للوطن! أيتها الجماهير المستعبدة خذي السلاح!

ولتتوهّج الشجاعة القديمة في القلوب المقهورة!
آه فلتنتفض الأسود العربية للحرب
وبأنيابها الغاضبة فلتمزق فلول الأعــداء!
وأنت أيها الطفل الصغير فلتكبر! وليكن القدر إلى جانبك!
فبعد اليوم لن ينجّس الفرنسيون شواطئنا العربية!...»
– يداعب الطفل سيفه المعقوف وهو يضحك...

-2 -

نابليون!... يا نابليون!...هذا هو يوغرطا الجديد
منهزم!... في سجنه المقيت يرسف في الأغلال!
يتجلى يوغرطا الأول أمام المحارب في الظلام
وبنبرة خافتة يهمس له بهذه الكلمات:
«استسلم يا بنيّ للإله الجديد! ودع انتقامك!
إنه عصر آخر يبدأ... ستكسر فرنسا
قيودك... ستبصر كيف تزدهر بلاد العرب
تحت وصاية فرنسا!...لا ترفض معاهدة الشعب الكريم،
ستكبر بأرض شاسعة، وتصبح
كاهنا للعدالة والإيمان المتدفق... ابق على حبّك
لسلفك يوغرطا من شغاف قلبك... وتذكّر مصيره إلى الأبد!

-3-

إنّ عبقرية الشواطئ العربية هي ما يتجلى الآن لك!...»

شارلفيل: 2 جويلية 1869.

النص الأصلي لقصيدة "يوغرطا" باللاتينية[17]

Jugurtha

...La Providence fait quelquefois reparaître le même homme à travers plusieurs siècles....

Balzac, Lettres

I

Nascitur Arabiis ingens in collibus infans
Et dixit levis aura : « Nepos est ille Jugurthae... »
Fugit pauca dies ex quo surrexit in auras
Qui mox Arabiae genti patriaeque Jugurtha
Ipse futurus erat, quum visa parentibus umbra
Attonitis, puerum super, ipsins umbra Jugurthae,
Et vitam narrare suam, fatumque rejerre :
« O patria ! ô nostro tellus defensa labore ! »
Et paulum zephyro vox interrupta silebat.
« Roma, prius multi sedes impura latronis,
Ruperat angustos muros, effusaque circum
Vicinas scelerata sibi constrinxerat oras :
Fortibus hinc orbem fuerat complexa lacertis
Reddideratque suum ! Multae depellere gentes
Nolebant fatale jugum : quaeque arma parassent
Nequidquam patriâ pro libertate cruorem
Fundere certabant ; ingentior objice Roma
Frangebat populos, quum non acceperat urbes !... »
Nascitur Arabiis ingens in collibus infans
Et dixit levis aura : "Nepos est ille Jugurthae... »
« Ipse diu hanc plebem generosa, volvere mentes
Credideram ; sed quum propius discernere gentem
Jam juveni licuit, magnum sub pectore vulnus
Ingenti patuit !... - Dirum per membra venenum,
Auri sacra fames, influxerat... omnis in armis

Visa erat... - Urbs meretrix toto regnabat in orbe !
Ille ego reginae statui contendere Romae ;
Despexi populum, totus cui paruit orbis !... »
Nascitur Arablis ingens in collibus infans
Et dixit levis aura : "Nepos est ille Jugurthae... »
« Nam quum consillis sese immiscere Jugurthae
Roma aggressa fuit, sensim sensimque latente
Captatura dolo patriam, impendentia vincla
Conscius adspexi, statuique resistere Romae,
Ima laborantis cognoscens vulnera cordis !
O vulgus sublime ! viri ! plebecula sancta !
Illa, ferox mundi late regina decusque,
Illa meis jacuit, jacuit terra ebria donis !
O quantum Numidae Romanam risimus urbem !
- Ille ferus cuncto volitabat in ore Jugurtha :
Nullus erat Numidas qui contra surgere posset ! »
Nascitur Arablis ingens in collibus infans
Et dixit levis aura : "Nepos est ille Jugurthae... »
« Ille ego Romanos aditus Urbemque vocatus
Sustinui penetrare, Nomas ! - frontique superbae
Injeci colaphum, venaliaque agmina tempsi !...
- Oblita hic tandem populus surrexit ad arma :
Haud ego projeci gladios : mibi nulla triumphi
Spes erat : At saltem potui contendere Romae !
Objeci fluvios, objeci saxa catervis
Romulidum ; Lybicis nunc collactantur arenis,
Nunc posita expugnant sublimi in culmine castra :
Saepe meos fuso tinxerunt sanguine campos...
- Atque hostem insueti tandem stupuere tenacem ! »
Nascitur Arabiis ingens in collibus infans
Et dixit levis aura : "Nepos est ille Jugurthae... »
« Forsan et hostiles vicissem denique turmas...
Perfidia at Bocchi... - Quid vera plura revolvam ?
Contentus patriam et regni fastigia liqui,
Contentus colapho Romam signasse rebelli !
- At novus Arabii victor nunc imperatoris,
Gallia !... Tu, fili, si quâ fata aspera rumpas,
Ultor eris patricae... Gentes, capite arma, subactae !...
Prisca reviviscat domito sub pectore virtus !...

O gladios torquete iterum, memoresque Jugurthae
Pellite victores, patria libate cruorem !...
O utinam Arabii surgant in bella leones,
Hostiles lacerent ultrici dente catervas !
- Et tu ! cresce, puer ! favent fortuna labori.
Nec dein Arabiis insultet Gallicus oris !... »
- Atque puer ridens gladio ludebat adunco !...

II

Napoleo ! proh Napoleo ! novus ille Jugurtha
Vincitur : indigno devinctus carcere languet...
Ecce Jugurtha viro rursus consurgit in umbris
Et tales placido demurmurat ore loquelas :
« Cede novo, tu, nate, Deo ! Jam linque querelas.
Nunc aetus melior surgit !... - Tua vincula solvet
Gallia, et Arabiam, Gallo dominante, videbis
Laetitiam : accipies generosae foedera gentis...
- His et immensa magnus tellure, sacerdos
Justitiae fideique !... - Patrem tu corde Jugurtham
Dilige, et illlus semper reminiscere sortem :

III

Ille tibi Arabii genius nam littoris extat !... »

Rimbaud Jean-Nicolas-Arthur,
Externe au collège de Charleville.
Professeur : M. Duprez.

الهوامش

1- C.A.Hackett, Rimbaud, A Critical Introduction, Cambridge University Press First published 1981, P.11.

2- Rimbaud, Une saison en enfer, Illuminations, Œuvres poétiques (Préface d'Ernest Delahaye), Club Géant, presses de la renaissance, Paris 1972, P.229.

3- هي باريس كما ورد في عنوان القصيدة.

4- كبار الملاّك الإقطاعيين من نوّاب البرلمان.

5- Rimbaud, Une saison en enfer, Illuminations, Œuvres poétiques, P.211.

6- شرح المعلقات للزوزني، تحقيق عبد الرحمان الطويل، دار المجد للنشر والتوزيع، سطيف- الجزائر 2011، ص100.

7- Rimbaud, Une saison en enfer, Illuminations, Œuvres poétiques, P.187.

8- Tuileries: حدائق شهيرة في باريس تضم قصورا سكنها ملوك فرنسا وأحرق أنصار الكومونة بعضا منها.

9- ينظر ترجمتنا لقصيدة "يوغرطا" في آخر هذه الدراسة.

10- Daubmir and Kinkozzo, Portal Rimbaud, Essays and Variously, 2007. P.106.

http:// WWW.Mag4.net/Rimbaud

11- Rimbaud, Une saison en enfer, Illuminations, Œuvres poétiques, P.162.

12- ابن باديس، حياته وآثاره، ج1 من المجلد الثاني، إعداد عمار الطالبي، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 571.

13- Rimbaud, Une saison en enfer, Illuminations, Œuvres poétiques, P.162.

14- مصطفى سبيتي، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2000، ص237.

15- Traduction de Jules Mouquet (du Latin au Français). Rimbaud, Oeuvres complètes, Classiques Modernes, 1999.

- Publié dans Le Moniteur de l'enseignement secondaire, spécial et classique. Bulletin officiel de l'Académie de Douai, 1ère année, 22, 15 novembre 1869.

http://www.mag4.net/Rimbaud/poesies/Jugurtha.html

16- هو بوكوس الأول صهر يوغرطا وملك موريطانيا آنذاك، تواطأ مع الرومان إلى أن وقع يوغرطا في أسرهم.

17- النص الأصلي لقصيدة "يوغرطا" كما كتبه رامبو باللاتينية.

http://www.mag4.net/Rimbaud/poesies/Jugurtha.html